العدد (2081) السنة الثامنة - السبت (26) آذار 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

على هامش الصراحـة

عيد المرأة بعد العيد

إحسان شمران الياسري

مرّ علينا عيد المرأة بصمت عجيب رغم كل الفعاليات التي رأيناها وسمعناها، وربما شاركنا بها. وحزنتُ كثيراً لأنني لم احتفل بزميلاتي الموظفات في الدائرة لأسباب عديدة جميعها غير مقبولة بالمرة..

ومن هذه الأسباب غير المقبولة، خوفي أن يقول أحدهم، أو إحداهن (والله أنت بطران يا حجي)، أو يقول آخر أو أخرى (شراح تقبض المرأة من توزيع ببسي وكيك).. وفي بيوتنا، لم نفعل شيئاً بالمرة، بل اعتقد إنني تعاركت مع العزيزة أم البيت لأني تركت القميص على الكرسي ولم أعلقه في مكانه، ووصل الأمر إلى الطلاق بعد أن رفضتُ الأوامر المشددة بضرورة تعليقه قبل ارتداء (الدشداشة).. تصوروا في الثامن من آذار نختلف أنا وشريكة حياتي على تعليق القميص ويصل الأمر إلى الطلاق.

بل إن أولادي اشتركوا في النزاع، وكان بعضهم يؤيد فكرة تعليق القميص قبل ارتداء الدشداشة بينما ذهب بعضهم إلى ضرورة ارتداء الدشداشة لأسباب عديدة منها الانتصار لكرامتي باعتباري (سي السيد)، فيما كانت الأسباب الأخرى صحية بحتة، إذ صادف يوم الثامن من آذار برودة في الجو وبقائي عدة ثواني بدون دشداشة قد يعرضني للبرد وقد أمرض. وبعد الأخذ والرد قررت قطع نصف المسافة في حل المشكل بأن عدت وارتديت القميص وارتديت فوقه الدشداشة وسارت الأمور مع بعض التوتر والقلق من انفجارها في أية لحظة.

وليس مشكلة القميص وحدها تلك التي تعرقل احتفالاتنا بأمثال هذه المناسبات، بل لأننا لم نعتد اختراع المناسبات التي ترّطبَ حياتنا، بل إعتدنا هيمنة بعض السلوكيات التي تجعلنا مجرد أدوات في حياة بعضنا، فمثلاً انت في البيت مجرد سائق وحارس و (مسوكجي).. والمرأة مجرد (طباّخة) وأمينة صندوق وصاحبة أمر ونهي زائف.. وكلنا أدوات محسوبة القيمة.. ولكنك جرّب أن تسافر، أو تسافر زوجتك عنك، ستنسى الأداة، وتتعلق روحك بالبيت وأم البيت ومناكداتها وشكاواها، واقتراحاتها وغيرتها وأفكارها، وستتمنى لو إنك تطير من لحضتك لتكون في (الطارمة).

مهرجان آذار الثقافي

شرفني أهل واسط بدعوتهم لحضور مهرجانهم الثقافي الذي أسموه (مهرجان آذار الثقافي الأول) الذي أقامه الشيوعيون وأدباء وكتاب محافظة واسط. وفي كل آذار تحتشد عدد من المناسبات مثلما تحتشد أزاهير القداح على شجيرات الخوخ والتفاح في المناطق الدافئة.. ومثلما تنهال البراعم على أخصان الشجر الذي أفاق بعد حرمان من حبس الشتاء.. ومن هذه المناسبات ما هو وطني، ومنها ما هو عالمي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو روحي وقومي..

فلقد اجتمع في آذار عيد المرأة، نصفنا (الحاكم والمغلوب)، وقرين أرواحنا التي لولاها لما كانت للحياة قيمة، وما كان للجمال من مرآة يتبّدى بها، وما كان للشعر معنى، وللموسيقى، وما كانت لبيوتنا رائحة الأمن الروحي الذي نسكن فيه.. وقد عبرت المرأة في هذا المهرجان عن عنادها الأبدي، فقاومت وحشية الـ(أنا) الذكورية، فهتف لها الرجال خوفاً وإذعاناً وحباً.

وفي آذار، مذ كنتُ طفلاً، أسمع بـ (عيد الشجرة)، ولم أدرك، إلا في هذا المهرجان إن الشجرة هي المرأة والأم والحياة وينابيع دجلة التي ترفده بينابيع الحياة من أعالي الجبال.. وعرفت إن عيد (نوروز) هو عيد روحي وقومي وأنساني خالد، يُعبر فيه الناس عن ابتهاجهم، فتستجيب الأرض لهذا الفرح الآدمي، بأن تطرح خضرتها على السفوح والوديان والجبال لتشاركنا هذه البهجة والحفاوة. فمذ خلص الحداد (كاوه) اهل بلدتهَ من الطاغية (الضحاك)، في اسطورة سرمدية للبطولة والإقدام، حيث اشعل النار على رأس القلعة في اشارة الى خبر الإجهاز على الملك الظالم، اصبح هذا اليوم عيدا عالميا للبطولة والفرح.

وفي هذه الحفلة الباهرة من عطاء الأرض، اختار الشيوعيون آخر آذار موعداً لانطلاق حزبهم، فسجلوا لامتنا العراقية موعداً سرمدياً لا يضيع من الذاكرة مهما هصرتنا وعصرتنا السنين..

وأهم الأعياد والمناسبات ومفاتيح الخير والسعادة والرزق هو عيد ميلاد زوجتي الذي يصادف في السادس والعشرين من آذار.. حيث يصير يومي (أسود) إن لم أدعي الفرح والابتهاج و(الموت من الضحك)، والمرور على محل المعجنات لشراء (كيكة) عيد الميلاد وأكتب عليها العبارة التي تحبها.. ثم عليّ أن أكذب بموضوع سعر الكيكة، فأزيد عليها نحو عشرين ألف دينار، وهي تقول مدعية التعاون والتقشف (شدعوه ما كان أكو ضرورة تجيبها غالية!!).

ihsanshamran@yahoo.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

الـــديـــن والـــديمـــقـــراطـــيـــة

نناقش هنا نقاط التلاقي بين الدين والديمقراطية، وإشكالية الثابت والمتغيّر في النص الديني، ويطرح التساؤلات التالية:

١-هل توجد في الدين نظرية سياسية محدّدة، أم أن هناك تعاليم إرشادية فقط؟ وهل هناك مسافة شاسعة بين الحدود الشرعية في النص الديني والمواد التشريعية في الأنظمة الوضعية؟ وكم هي؟

٢- ما هو الفرق بين الحاكم الديني والحاكم السياسي في كلّ من الديمقراطية والدين ؟وإذا كان الشعب فعلاً هو صاحب القرار، فأين تكمُن الوصاية أو الدكتاتورية في النظرية الثانية؟

٣- هل الأفضل فصل الدين عن السياسة والسياسة عن الدين في المجتمعات الإسلامية، أم الأفضل تجسير العلاقة بينهما وتنسيقها؟

٤- هل يتعارض الدين مع الآليات الديمقراطية في الإستفتاء والبيعة أم إنه يستقيم معها عبر إقرار التصويت والإنتخابات والتأكيد على تفعيل المقولة الديمقراطية المعروفة: (أوراق الإقتراع بدل طلقات الرصاص)؟Ballots instead of Bullets .

٥- جواب هذه التساؤلات في البحث التالي.

ماجد الشمري

لماذا الديمقراطية!؟

لا ينبغي أن يكون الاستغراق في تداول المصطلحات الحديثة، أو التوغل في دلالاتها اللفظية دون التأمّل في خلفياتها ومعانيها مبرّراً لتشكيل هواية جديدة، أو ترتيلاً رتيباً معدّلاً لمعزوفات قديمة، أو مصطلحات قديمة.

كما لا ينبغي أن يكون هذا الترتيل مقدّمة لما دأبنا على فعله أيام زمان حين كنّا نرتّل أو نعزف على أعواد الاشتراكية، والقومية العربية، والإسلام الديمقراطي، واشتراكية الإسلام، والبرجوازية الوطنية، وديكتاتورية البروليتاريا وأمثال ذلك.

ونخشى أن تكون الهواية الجديدة هذه، أو العزف الجديد هذا، أو الترتيل الجديد، إغراءً بديلاً للوعي العربي والإسلامي المعاصرَيْن اللذين واكبا مسلسل الإخفاقات التي قادت الى إنشاد أو إنشاء تلك المصطلحات، وكأن هذا الترتيل يُهيّيء الأسباب اليوم لتسويق أو تسويغ المشروعية الفكرية لترويج مصطلحات جديدة، بدل تلك القديمة المذكورة، كالتعددية الدينية والبلورالزم، والتنوع، وولاية الفقيه، والقراءات المتعدّدة للإسلام، والمجتمع المدني، والديمقراطية، وغيرها.

صحيح، إن أمة العرب هي أمّة الشعر، وإن حضارتهم هي حضارة النصّ، - كما يقول البعض - وأن العرب مشغوفون بترتيل المصطلحات والنصوص، والتباري بالقوافي والألفاظ، إلاّ إنهم أدركوا بعد طول تجربة وشديد معاناة أن بعض عيوبهم هو حبّهم المفرط لتراكم الملفوظات والنصوص، والذي يأتي على حساب حبّهم الى تراكم المعاني والدلالات والأفكار.

وهذا يعني إنهم على أعتاب إدراك جديد نأمل أن لا يُستنزفوا بعده في تهويمات ثقافية وفكرية جديدة قد تقودهم الى ما يشبه الانغلاق على الأوراد الغامضة والتعويذات المبهمة التي تحمل أكثر من معنى وتنطوي على أكثر من دلالة، وحيث يكثر الشطط اللغوي وتزدحم المعاني المعقّدة على حساب المدلولات الفكرية والمعاني العميقة والإستظهارات الواضحة الشفافة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، نتمنّى أن يكون الإقبال على ترتيل المصطلحات الجديدة نابعاً فعلاً من خشيتنا المبرّرة من اكتساح العولمة، أو (هلعنا) المشروع من هول الغارة الثقافية على مجتمعاتنا الإسلامية، أو بسبب الاعتقاد الناضج الذي أفضى الى يقيننا أن السيل الهائل من النصوص القديمة لم يُنزل علينا غيثاً ولم يحصد لنا زرعاً رغم اجترارنا لهذه النصوص لعقود متوالية، ورغم ما ازدحمت به هذه النصوص من شعارات ويافطات ولافتات كبيرة كنا رفعناها ليلاً ونهاراً، وترنّمنا بها سرّاً وجهاراً حول الأمة العربية الممتدة من (المحيط الى الخليج)، أو الإسلامية الممتدة من (سومطرة) الى (جكارتا)!! أو من أندنوسيا الى أفريقيا.

وإذا كان ذلك في زمن (المراهقة السياسية) الذي اهتدى فيه من اهتدى وضلّ من ضلّ إلاّ أنّ تصفية الميراث الوهمي لا ينبغي أن يتأتى عبر العمل على تضخيم مصطلحات جديدة وأدلجتها بأطر ومقاربات ربما لا تختلف كثيراً عن تلك التي استنزفت سنين طويلة من طاقات المثقفين والمفكرين العرب والمسلمين ممن ندبوا ودافعوا طويلاً عن (الكادحين) و(الفقراء) و (الطبقات المسحوقة)، ونافحوا عن (واجب الوجود)، وفائض القيمة والملكية الخاصة، ونخشى أن يواصلوا ندبهم ونواحهم اليوم على يوتوبيا أخرى تحت عناوين جاهزة، كالسلف الصالح، والمرجعية الرشيدة، وتحكيم الشريعة، وإعادة الخلافة، وولاية الفقيه، والعودة الى حكم القرآن، وأمثال ذلك، ممّا لم ينتج لنا إلاّ دوغماتيات مغلقة، وقطعيات مبتورة، لم نرَ خلالها إلاّ صوراً شوهاء لأيديولوجيات مكرورة، تلبّست بعضها بعلمانية مراهقة لا يُعرف معناها، وتلفّعت أخرى بدينية هرمة لم تنهض بأية مسؤولية حقيقية تجاه الفرد كإنسان أو المجتمع كبشر.

نقول: حتى الذين ركبوا تلك الموجات عن أغراض شريفة أو أهداف نبيلة، وممن يعتبرون أنفسهم أصحاب الميراث الشرعي لها، أدركوا اليوم أن معاركهم حول (الإيمان والالحـاد) وسجالات (العلّة والمعلول)، و(واجب الوجود) و(ممكن الوجود)، لم تكن معظمها سوى تهويمات بائسة وإعلانات دعائية خائبة لتسويق الكاسد والبائر من رؤى ونظريات وأفكار أكل الدهر عليها وشرب.

نعم، علينا وعليهم، وربما كنّا منهم، ألاّ نُكرّر نفس الخطأ مع مصطلحاتنا الجديدة حول الديمقراطية، والتعددية، والمجتمع المدني، وولاية الفقيه، والتنوع، والاختلاف الايجابي، واحترام الرأي والرأي الآخر، وأمثال ذلك، لأن المرض هو المرض، والإنسان هو الإنسان، والمسافة تبقى شاسعة بين الطرح النظري والممارسة العملية، أو قلْ بين الدعاوى العريضة الشعاراتية الاستهلاكية، وبين ضرورة استدعاء الجهد العملي لترويج الأطروحة وتفعيلها، والابتعاد جهد الإمكان عن إعلانات النيّات الحسنة والاستبدالات اللغوية التي تذهل عن المضامين وتنأى بعيداً عن الأهداف والدلالات.

وهذا يعني أننا لا ينبغي أن نكتفي بالتبشير بآراء المثقفين المعاصرين وفلاسفة (التنوير) فقط، لأن المسألة أكبر من مجرّد نشر مبادئ أو بذرها في عقول متصحّرة بوهْم إنتاج وعي ثقافي أو سياسي في العقل العربي المعاصر، وإنما المهمّة جادّة وشاقّة لعلّها بحاجة إلى منظومة معرفية ومؤسسات اجتماعية تبتعد عن أسلوب التبشير والأدلجة، وتقترب من العملانية والفعل، لكي نجعل من هذا العقل المتنوّر يشتبك اشتباكاً نظرياً ناجحاً مع تأريخانية النصّ وزمكانيته من جهة، ومع معضلات الدولة ومحدّدات المفاهيم الحديثة ومؤسسات المجتمع المدني من جهة أخرى.

كلّ ذلك وصولاً لتطبيع مجتمعاتنا تطبيعاً تدريجياً هادئاً يتقبّل عملية التغيير الاجتماعي والسياسي دون صخب أو ضجيج، بل دون عملية قيصرية ربما تُجهز على الأم والجنين معاً. وحين يُشير البعض إلى إخفاق كافة مشاريع الثورة والتغيير، وفشل كل الانقلابات العسكرية والحركات (الثورية)، بما انطوت عليه من أحزاب سرّية وعلنية، ومنظمات سياسية (رجعية وتقدّمية)، وميليشيات وتجمّعات نضالية، ودخولها جميعاً مرحلة التآكل والانقراض، فإن ذلك لم يحصل إلاّ بعد أنْ تعرّضت كل هذه التسميات لحملات تصفية مخططة ومدروسة من قبل السلطات المستبدة جعلتها تتراجع حتىَ عن سقف التعبير الرمزي عن أهدافها المعلنة، ومنتهية إلى ما يمكن تسميته انحلالٍ وضمور مؤسفين مروّعين.

أقـول: أن هـؤلاء حين يشيرون الى ذلك، فإنهم لا يريدون بالتأكيد، أو لا يقصدون إن يجرّوا الثوار الى الجنوح الى فكرة التخلّي عن منطق الثورة، والاكتفاء بمنطق الدولة وشعارات الإصلاح من الداخل أو الاعتراف المذلّ بالأمر الواقع. كما لا يريدون إقحامهم، أي إقحام الثوّار في دوامة تهدئة وهدنة مع الأنظمة الدكتاتورية بقصد إسقاط برامجهم في المواجهة الوطنية، أو إفشال مشاريعهم التنموية، السياسة والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وإنما تحذيرهم من الانجرار لاستبدال منهجهم التغييري الثوري الكفاحي ببرنامج الاستيلاء على السلطة واقتسامها كغاية وليس كوسيلة، أو اقتسام أقساطها مع الحكام والسلاطين، والانزياح أو الانجرار الى المشاركة غير المشروطة مع هذه السلطة، أو المشروطة بشروطها الظالمة المتعسّفة.

نعم، كل ذلك، لا يريده هذا البعض، لأنه يعني - بلغة الأحرار والثوار - إجراء تخديري أو ترقيدي بائس، بل رضوخ لمنطق الموت والاستسلام، والانتقال من تحرير الأرض إلى قبول الاحتلال، ومن لغة المقاومة الى لغة المساومة، ومن التسوية المتوازنة الى القبول بأدنى الشروط، أو شروط الحدّ الأدنى، ومن المطالبة بتوطيد أسس العدالة في توزيع الثروة الى برنامج اقتصاد السوق وتقبّل التعامل الربوي والرضا بالخصخصة، وباختصار شديد: الانتقال البائس من الثورة إلى طوبى الثورة، ومن العمل بالدين الى الحديث عنه فقط ، وباختصار شديد الانتقال من مرحلة الإيمان بالشعارات والعمل بها إلى عزفها والترنّم بها فقط، وما يرافق ذلك من مشاعر إحباط ويأس وهزيمة، وهذا هو المحذور الحقيقي الذي لا يُراد للمناضلين الانجرار إليه أو السقوط فيه.

إنهم يريدون فعلاً الولوج في عالم جديد أساسه الاعتدال في فهْم الزمان والمكان، ومحوره التخلّي عن الأصولية المفرطة في المثال، ودعامته الاستيعاب الكامل للعصر وثورة الاتصالات ودور القنوات الفضائية والانترنيت وتأثيرها على الأفراد والمجتمعات، والأمم والشعوب، ومعها الدول والحكومات، وأخيراً وليس آخراً التعاطي مع الآخر الجاهل ذي العقل المتخشّب بروح الحيطة والحذر، وليس بالإهمال واللامبالاة، لأن هذا العقل لا يرى إلاّ بعين واحدة ولا يمشي إلاّ على رجل واحدة، وبالتالي فإنه أعصى على الترويضَ والاستيعاب من ذلك الذي يرى بعينين ويسير على رجلين ولكنه ينظر إلى مصلحته الخاصة قبل أن ينظر الى مصلحة الأمة أو الدين أو الوطن.

بمعنى أن الأول عقائدي أيديولوجي متصحّر صعب المراس، لا تنفع معه الاستمالة أو المداراة أو اللغة المشتركة، فيما الثاني نفعي مصلحي يمكن التفاهم معه على أساس تحقيق مصلحته أو نصفها أو ربعها.

نعم، انه عصر العولمة، العولمة التي لا تعترف بوطن أو مواطن، ولا تعترف بإقليم أو أقلمة أو تأقلم، لأن اتصال الناس سيكون في عالم اللامرئي وعبر الشبكة العالمية للمعلومات وبدون أية مراقبة أو مباحث أو أجهزة تنصّت أو بوليس سري... عالم بدون دولة وبدون أمة وبدون وطن، عالم الفاعلين وعالم المفعول فيهم. عالم الفاعلين الأقـوياء، المسيِّرون المتحركون الناشطون، وعالم المفعول فيهم، المستهلكون للمأكولات والمعلّبات والمشروبات والمرطّبات الذين ينامون أكثر من غيرهم وينشدون الشعر على أنغام موسيقى الغير وربما موسيقى الفاعلين أنفسهم!!

ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه علينا اليوم، كيف يمكن أن نحقق تنمية أو نهضة ثقافية أو فكرية أو سياسية اذا بقيت مصطلحاتنا مجرّد تهويمات لا يُفقه معناها ولا يُدرك مغزاها، وبقيت دولتنا مجرّد دركي يحافظ على قداسة هذه المصطلحات ورموزها ويحذّر من التحرّش بها أو بهم وبقداستهم؟ وكيف ستكون سياستنا وثقافتنا إذا استطاعت المؤسسات والشركات المتعدّدة الجنسيات أن تعمل بفاعلية ونشاط لتحقيق أكبر قدر من الربح بأقلّ عدد من المأجورين؟!

بالتأكيد، إذا غابت السياسة وغاب القانون فالبديل هو الثورة أو الفوضى، وإذا غاب الفكر والثقافة فالبديل هو النوم والتخلّف والموت، وإذا غاب الدين والضمير (أي الدين الحقيقي لا المزيّف) فشريعة غاب ومخالب وأنياب. وهنا لابد من استصراخ (ماركس) جديد يتلافى أخطاء (ماركس) القديم، يوم أهمل الشأن السياسي، وانشغل بالاقتصاد، أو أخطأ دور الدين، وانشغل بالردّ على المتديّنين. بل لابدّ من إيجاد (عليّ) جديد أي قائد جديد لا يقول حتى يفعل، ولا يزعم حتى ينفّذ متأسّياً بذلك الثائر الخالد الذي ماانفك من على منبره يردّد للأجيال: «ما جاع فقير إلاّ بما مُتّع به غنيّ، وما رأيتُ نعمة موفورة الاّ وبجانبها حق مضيّع!» وهو يرتدي مدرعة ماانفك يرقّعها حتى استحى من راقعها، وحين سُئل أجاب: « ثوبٌ يخشع به القلب، وتذلّ به النفس، ويقتدي به الفقير».

نعم، اننا بحاجة الى مَن ينصف ماركس القديم الذي قال: «الدين أفيون الشعوب» ولكنه أضاف، وفي نفس الجملة « ولكنه صرخة الكائن المثقل بـالألم» وانّ إنقاذ هذا الكائن هو الخطوة الأولى لإنقاذ هذا الوادي الغارق بالدموع.

فهل من منقذ واعٍ يُدرك المعادلة الحقيقية في ترابط الأجيال، ويُدرك الفعل الحقيقي لتراكم المعرفة؟ وهل من نخبة جديدة تُدرك التداخل بين الدين الحقيقي والدين المزيّف، وتُدرك أيضاً التداخل الآخر بين الكفر بالله والكفر بأعداء الله؟! وبكلمة أخرى، هل من طليعة واعية ملتزمة تُعرّف الناس بالمسافة الشاسعة بين (دين الأنبياء) و(دين الفقهاء) وتُعرّفهم في الوقت نفسه المسافة الشاسعة الأخرى بين الإيمان بالله، أو الإيمان بهذا الإيمان على الأقل؟!

لا نريد في بحثنا التالي الادّعاء بأنّنا نضع لبنة أساسية في هذه المنظومة الكبيرة والبناء الضخم، وإنما نحاول وضْع أقلّ من مواد لبنة في مسألة أيديولوجية واحدة أخذت وتأخذ وستضل تأخذ مساحة واسعة من الجدل بين الإسلاميين أنفسهم من جهة، وبينهم وبين غيرهم من جهة أخرى، وربما لعقود قادمة قد تستنزف منهم ما استنزفته من غيرهم أو أكثر.

هذه المسألة هي العلاقة المتشابكة بين الدين والديمقراطية، والتي أصبحت شائكة ومعقّدة بعد أن اكتسح هذه الثنائية اللفظية المشهد الثقافي والفقهي والسياسي في الفكر الإسلامي المعاصر وأشغله على امتداد ثلاثة عقود، أي منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م ولحدّ الآن.

نعم، إننا سوف نناقش هذه الثنائية عبر المرور على أهمّ مرتكزاتها الثقافية والسياسية والفقهية، آملين أن نكون مارسْنا دوراً نقدياً مسؤولاً يتعاطى مع الإيجابيات، ويؤشّر على السلبيات، ومن موقع الحرص على تفهّم سوء العلاقة بين (الدين والسياسة) أولاً، والانطلاق من موقع تجسير هذه العلاقة وتنسيقها، وليس إلغاؤها أو القفز عليها ثانياً.

كما إننا في محاولة تفهّم سوء العلاقة هذه، نسعى أن لا يُصار الى التعسّف في توظيف الدين لتنفيذ مصالح بعض المتديّنين، بذريعة خدمة الدين وانّ (الإسلام دين الدولة الرسمي)، ولا الى توظيف السياسة عبر إلغاء الدين لخدمة بعض السياسيين بذريعة الحريات الشخصية وعدم المساس بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

فمصيبة الدين ليس فيه وإنما في سوء فهمه أو سوء استخدامه لمصالح بعض رجال الدين، ومصيبة السياسة والديمقراطية ليس فيهما بل في سوء استخدامهما، وتوظيفهما لمصالح السياسيين المحترفين، وبالتالي، فلا بدّ من قاسم مشترك لتنسيق هذه العلاقة أو تجسيرها.

ويمكن اختزال هذا المشترك، نعم، اختزاله، إما بنقل الحكم إلى أيدي المؤمنين أو نقل الإيمان إلى قلوب الحكّام. وإذا عزّ ذلك، فلا بدّ من اقتسام السلطة، أو إدارتها تداولياً بين الطرفين شريطة أن يبقى الدستور والقانون فوق الجميع، وأن لا يُصار إلى إذكاء نيران الصراع والتدافع والاحتراب، وإنما إلى تبادل الأدوار، وعدم المساس بـ (مقدّسات) الطرفين، ومراعاة خصوصية القيم والأعراف والثقافات في المجتمعات الدينية، وتفعيل دور الأمة في الحوار وصناعة القرار.

تـــأســـيـــس الـــقـــيـــم

أ.د حسين أمين

تهتم الدول بتأسيس القيم الفكرية والإبداعية انطلاقا من كونهما محورا فعالا للحفاظ على عقل الأمة ووجدانها، وبهما تتميز تاريخا وثقافة وحضارة ترقب المستقبل، وتقف على تحولاته، وهي تحولات تصيب الخصوصية في الصميم وما من أمة إلا وتسعى إلى الإفادة من هذين الرافدين (العقل والوجدان) في بناء نظام ثقافي يؤسس لهوية الأمة، ويشكل الذات العامة ساعيا إلى الاهتداء إلى صياغة تتسم بالتوازن والتمازج والفعالية، ومن ثم يصبح الخلل في التوازن جنوحا نحو التطرف، وباعثا على الغلو في الدين والفكر على السواء، وفي هذا السياق تتجدد المقولة الشائعة: الأصالة والمعاصرة، وتتحول إلى أداء تفعيلي يؤتى أثرا ملموسا في تحقيق التوازن، وإبراز الخصوصية، ولعلنا نلاحظ حرص الأمم على تراثها ولغتها، هذا الحرص الذي يصل إلى تنحية كل وافد لغوي يزاحم اللغة الأم، ولم يقل أحد إن مثل هذا التوجه يوحي بالتعصب، ويتسم بالرجعية.

إن الحرص على التراث حرص على الخصوصية والتفرد، ولا ننسى موقف فرنسا الرسمي في محافظتها على لغتها من الدخيل اللغوي، أو انحسارها في بعض الجهات، وهو موقف مجيد يتحدث عنه الشرق والغرب معا.

والتراث (اللغة والفكر) علامة على تاريخ له أبعاده وتجلياته التي فاضت على العقل في حضارات الآخر وثقافاته، ومن ثم دخل التراث الإسلامي في سياق التكوين الحضاري العام، وشكل أحد أساسيات التحصيل الثقافي في الفكر الإنساني، ولم يتخل عن دوره الفاعل في الغطاء على تنوعه، وتنامى زاهيا إبان أزمنة الازدهار ، والقوة، والتفتح. وفي السياق نفسه فإننا لا نستطيع أن نتجاهل معطيات الحضارة الحديثة، علما وفكرا وإبداعا، وليس عيبا أن نؤكد غلبة الحضارة الغربية في مجال العلوم والتكنولوجيا، فهذا العطاء إنما هو شارة إلى تكوين عقلي تميز بوفرة آليات وعمق المناهج المساعدة، وليس تمايزا في جوهر العقل ومدركاته، إنه نتاج عام مسموح به.

إن التمازج الحضاري سمة من سمات العصر، وإذا كانت الغلبة للعلم ومعطياته الهائلة فإن البناء الثقافي يجب أن يظل متميزا، وعلامة على الأمة وجذرها وقيمها دون أن نغفل الإفادة من حضارة الآخر في المجالات الأخرى.

وإذا كانت الحداثة في الغرب قد أفل نجمها فهي في العالم العربي تتطارح مقولاتها بشكل ملح، يصاحبها شطط في التأويل، وتجرؤ على القيم والفكر الديني ودأب لا يكاد لقطع خيوط التواصل بالتراث اللغوي الذي هو حامل للفكر، والحضارة، وقيم الدين.

والحداثة كما نبتت في بيئتها نوع من الحساسية تمثل قيما فنية وأدبية معايرة، تجعل العلاقة في مجال الإبداع واشية التنافر، إنها بالنسبة للمبدع الانكليزي كما يقول دكتور عبد العزيز حمودة، تعني الرفض الكامل للثقافة، بل الفوضى والعدمية.

وبرز الفكر الحداثي في مظاهر متنوعة، كالانقطاع المعرفي، فمصادرها تختلف عن مصادر التراث، فضلا عن الفكر العلماني، واستحداث لغة لها خصائص مفارقة، واعتبار الإنسان مركزا للوجود إن الحداثة (رحلة اختراق وانتهاك) متواصلين.

ولعلنا نلاحظ على أصحاب هذا التوجه في الأدب الجنوح إلى الغموض والحذلقة، وتنافرات اللغة، وافتقاد النظام وتكريس التخييل الحسي والجنسي وتهميش الدين والتجرؤ عليه، فدخل النص إلى نفق مظلم افقده التواصل ومن ثم التأثي، ولاح النص مجرد حدس لغوي، خاليا من المضمون فأغرى من لا موهبة لديه، بالتجرؤ والدخول إلى النفق!!

إننا بحاجة إلى بيت تولد فيه الحكمة، وذلك وفق التوازن الذي يصوغ الذات صياغة سليمة، تبعد بها عن التطرف يمينا أو يسارا، ودون أن يكون ذلك عائقا لحرية الإبداع في مجالاته المتعددة، إذا لا بد أن تتنوع الروافد عبر وحدة تجمعها.

ولعل المؤسسة الثقافية تستطيع أن تكون هذا البيت، وهي قادرة على ذلك إذا كرست جهدها نحو التأصيل والمعاصرة معا، وتفرغ المسؤولين فيها لتأسيس هذا البيت الحامل القيم.